

كانت أسباب كبيرة توحى إلى قلب محمد العظيم شوقه الطويل إلى استقبال ذلك الوليد . . .

كان منها إن محمدا عرني يحرص على العقب من بعده كحرص كل رجل من أبناء القبائل وأصحاب العصبية : هم فخورون بالنسب فخورون بالعقب ، يحفظون سيرة السلف ويتوقون إلى استبقاء الخلف على نحو لا يعهده الحضريون وإن كان حب الذرية فطرة مركبة في جميع الطباع .

ومحمد كان يحب التكاثر لنفسه ويحبه لأمته ويوصي المسلمين أن يستكثروا من النسل ما استطاعوا ليفاخر بهم الأمم وفرة وعزة . فاشتياقه إلى العقب من الذكور خليقة عربية تقترن بالخليقة الإنسانية والخليقة النبوية ، فتزداد قوة على قوتها التي ركبت في جميع الطباع .

وكان من أسباب هذا الشوق القوي طول العهد بالأبناء بعد من ولدتهم له السيدة خديجة رضي الله عنها ، وشهامة أناس من شائثيه ساء بعضهم بالأبتر لانقطاع معظم نسله : وفي ذلك نزول الآية الكريمة : « إن شانتك هو الأبتتر » .

فقد مضى نيف وعشرين سنة لم تلد له في خلالها زوجة من روجاته . ومات في هذه الفترة كل أولاده ما عدا فاطمة رضي الله عنها التي ماتت بعده بقليل : مات القاسم ، والطاهر ، طفلين . وماتت زينب ، ورقية ، وأم كلثوم ، بعد أن تزوجن ، ولم يتعوض من فقدهن ما يعزيه بعض العزاء . . .

فجيرة تضاعف الشوق إلى الوليد المأمول .

وطول انتظار يضاعف الحب له كما يضاعف الشوق إليه .

ولسنا ندري لم طالّت الفترة التي مضت على أزواج النبي جميعا بغير عقب . . . ولكسا لا نستبعد تعليلها باجتماع المصادفات التي لا يندر أن تجتمع في أمثال هذه الأحوال . فعائشة البكر التي لم يتزوج النبي بكرا غيرها قد مات عنها عليه السلام وهي دون العشرين . وهي سن قد تبلغها المرأة ولا تلد ، وإن كانت ولودا فيما بعدها .